

حركة الإصلاح والدعوة

وأثارها في شبه القارة الهندية والجزيرة العربية
في القرنين الماضيين

سماحة الشيخ محمد الرابع الحسنى الندوى
(الرئيس العام لندوة العلماء، لكاناؤ)

تعريب وامتناء

محمد وثيق الندوى

الناشر

الأمانة العامة لندوة العلماء ، لكاناؤ

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

ملتزم الطبع والنشر

الأمانة العامة لندوة العلماء

ص ب ٩٣ ، كناؤ الهند

تيكور مارك ندوة العلماء كناؤ

Phone (91-522) 2741316, 2740151, Fax : 2741221, 2741023
e-mail : nadwa@sancharnet.in / website: www.nadwatululama.org

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الرسالة

الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد .

كان من فضل الله العظيم على الهند أن قيِّض في كل عصر من يجدد دينه كلما عمَّ الفساد ، وشاع الشرود الفكري ، وفشت البدع والانحرافات ، وساد نفوذ العلماء المغرضين ، وكثرت التأويلات الفاسدة ، وأباطيل المشككين والمضللين ، وقد قيِّض الله لهذا العمل الجسيم عمل تجديد الدين ، وإعادته إلى منهج السلف : الشيخ أحمد السرهندي ، ثم قيِّض له شخصية أخرى كانت منتسبة إلى الشيخ السرهندي ، لما بدأ الانحراف من جديد ، وهي شخصية الشيخ ولي الله الدهلوي الذي عاصر عصر انحطاط الحكم الإسلامي ، وتوغل أعداء الإسلام ، فكافح الخطر الجديد ، علمياً وتربوياً ، وأنشأ هو و أولاده مكتبة علمية زاخرة في الدفاع عن الإسلام ، كما عمرو مراكز التربية والتوعية الإسلامية ، والعلوم الإسلامية التي لا تزال تنجب أقطاب الفكر الإسلامي رغم مرور حوالي قرنين ، ورغم سقوط

الحكم الإسلامي في الهند .

أدرك الشيخ ولي الله الدهلوي بفراسته الإيمانية ووعيه الثاقب الأخطار المحدقة بنظام الحكم الإسلامي ، وأدرك ما يهدد الإسلام من نظريات ومعتقدات ، وفلسفات باطلة ، وسوء تأويل لنصوصه ، فوضع منهجاً جديداً للتعليم ، واهتم بتربية العلماء ، وعرض الإسلام في ضوء المشكلات الجديدة ، وشرح الدين وتعاليمه حسب العقلية المتغيرة ، والوضع الجديد ، ونقى الإسلام من الشوائب ، وخاطب العقل والقلب ، ورجال الدين والدولة معاً .

وُتُعبِّرُ أسرة الشيخ ولي الله الدهلوي السلسلة الذهبية التي تجمع سائر حلقات العلم ، والتعليم ، والدعوة ، والتربية الإسلامية ، وتصحيح العقيدة وإصلاح المجتمع ، وتتصل بها سائر الجهود التي بذلت في الهند منذ ذلك الوقت في المجالات التعليمية ، والدينية ، والاجتماعية ، والعلمية ، والدعوية ، والإصلاحية ، فقامت مؤسسات ومدارس ، ومراكز للتربية ، وحركات لتصحيح العقيدة وإصلاح المجتمع ، ومنظمات لتوحيد كلمة المسلمين ، وصيانتهم من الذوبان ، أو أن تجرفهم التيارات الجديدة التي اكتسحت في عهد انحطاط المسلمين وسقوط الحكم الإسلامي ، وعهد الإنجليز ، ثم في عهد استقلال الهند ، وقد تزعَّم سائر هذه الحركات المنتسبون إلى أسرة الشيخ ولي الله الدهلوي ، والمغترفون من مناهل أسرته ، وكان واسطة القلادة الشيخ عبد العزيز بن الشيخ ولي الله الدهلوي الذي يصل إليه نسب سائر الحركات الإسلامية التعليمية والتربوية ،

وحركات الدعوة والكفاح التي قامت في الهند ، وإليه يرجع فضل حركة الدعوة وإصلاح العقيدة والمجتمع للإمام الشهيد أحمد بن عرفان الرائي بريلوي ، الذي انخرط في سلكه كبار العلماء والمصلحين في عصره ، وهو الواسطة بين أسرة الشيخ ولي الله الدهلوي ، وبين قادة الفكر الذين صانوا العقيدة الإسلامية من التحريف ، وكافحوا الحركات الباطلة ، وحملوا لواء الإسلام في الهند في عصور الفتن والمحن ، وجاهدوا في الله حق جهاده ، ونشروا تعاليم الإسلام .

ومثل حركة الإمام ولي الله الدهلوي التي تقوم على التوحيد الخالص ومكافحة الحركات المناوئة لروح الإسلام ، والفرق المنحرفة التي تنتسب إلى الإسلام ، ولكنها متأثرة بالنزعات والحركات الباطلة ، نشأت في الجزيرة العربية حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي التي قامت بالدعوة إلى التمسك بالتوحيد الخالص ، ومكافحة البدع والخرفات التي وصلت إلى الشرك ، يقول سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي وهو يشير إلى خصائص هذه الحركة : .

" وقد كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجهاده وجهوده العظيمة تدور حول الدعوة إلى التوحيد الخالص ، والرد على مظاهر الشرك ، واستئصال التقاليد والطقوس الجاهلية (التي كان لبعض مظاهرها وشعائرها الظهور والانتشار لبعده العهد عن زمان النبوة ، والجهل العام ، وغفلة العلماء في بعض القبائل والأماكن من المنطقة الشرقية في الجزيرة العربية) وتدور حول

توضيح الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وشرح حقيقة التوحيد الذي يرضى به الله تعالى لعباده، ودعا القرآن الكريم إليه دعوة صريحة واضحة، وتنقيحها، وما حصل للشيخ في هذا الصدد من النجاح لا يوجد له نظير في الدعاة والمصلحين في العهود الماضية، وإن كان - حسب ما يقول الدكتور أحمد أمين - يرجع ذلك - إلى حد كبير - إلى قيام حكومة (وهي الحكومة السعودية) على أساسها وتبنيها لهذه الدعوة، وتشجيعها لها وإشرافها عليها، ولكن مما لا يقبل الجدل والاختلاف أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قام - في هذا الصدد - بدور مصلح ثوري عظيم، ومهما خالفه بعض الناس في بعض أفكاره وآرائه وأسلوبه في عرض الدعوة ومنهجه، ولم يوافق مئة في مئة إلا أنه لا يمكن إنكار تأثير هذه الدعوة وفائدتها والحاجة إليها في تلك الظروف الخاصة.

وأما ما يتعلق بتوضيح عقيدة التوحيد وتنقيحها، وإثباتها بالقرآن الكريم، وشرح الفوارق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فإن هناك شياً كبيراً بين آراء الشيخ وتحقيقاته وبحوثه، وآراء الإمام الدهلوي وتحقيقاته وبحوثه، وليس هذا إلا نتيجة الدراسة العميقة المباشرة للقرآن الكريم وتدبره، والمعرفة الدقيقة الواسعة بالكتاب والسنة، وهي التي أدت بشيخ الإسلام ابن تيمية في عصره، وكبار الدعاة والمصلحين والعلماء والمحققين في عصورهم إلى نتائج مشابهة مقاربية، ودفعتهم إلى تبليغ التوحيد الخالص

والدعوة الجريئة الواضحة إليه^(١).

وقد ألف الأستاذ مسعود عالم الندوي أحد خريجي الندوة النابغين حول حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي وأعماله ودعوته ومنهجه كتاباً مفصلاً ومحققاً، نال قبولاً واعترافاً في الأوساط العلمية والدعوية في الجزيرة العربية.

إن كل حركة ونشاط في حياة المسلمين في الوقت الحاضر في الهند، في مجال التعليم والتربية، والدعوة، والثقافة، والاجتماع مدين للمشايخ والعلماء الربانيين الذين تأثروا بحركة ودعوة السيد أحمد بن عرفان الشهيد، إنهم كانوا قوام المقاومة والصمود ضد الغزو الفكري والثقافي الذي رافق غزو الإنجليز للهند، فقد كان هؤلاء العلماء الربانيون في مقدمة المقاومة المكشوفة في عام ١٨٥٧م واستشهد ألوف منهم، وكان في طليعتهم مسترشدو السيد أحمد الشهيد رحمه الله كالشيخ أحمد الله، والشيخ يحيى علي.

وبعد فشل الثورة في سنة ١٨٥٧هـ لم ير العلماء أمامهم طريقاً لإفتح المدارس العربية والمعاهد الدينية، فأنشأوا هذه المعامل ليحتفظوا ببقايا الحياة الإسلامية، وليكافحوا تيار الغرب المدني والثقافي، ويخرجوا منها دعاة الإسلام وعلماء الدين، فأسس الشيخ محمد قاسم النانوتوي مدرسة ديوبند سنة ١٢٨٣هـ، وأسس الشيخ سعادت علي (من بقية رهط الإمام السيد أحمد الشهيد) مدرسة في

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام: ٣٣٢/٤-٣٣٤، دار الرشيد، لكتاؤ، ٢٠١٤م.

سهارنפור في نفس ذلك العام ، ثم تواترت المدارس الدينية في أنحاء الهند ، وقد نجحت هذه المدارس في رسالتها الدينية نجاحاً باهراً ، وسرّ نجاح هذه المدارس في أداء رسالتها ، ونشر الدين والعلم ، أنها لم تكن تنال مساعدة من الحكومة ، وكانت قائمة على أساس الزهد والتضحية والكفاف .

وكان في مقدمة العلماء الذين كافحوا خطر التنصير والتغريب الشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم بديوبند ، والشيخ رشيد أحمد الكنكوهي ، والشيخ أشرف علي النهانوي ، والشيخ خليل أحمد ، والشيخ عبد الله الغزنوي ، والشيخ عبدالعزيز الرحيم آبادي ، والشيخ أبو بكر إبراهيم الأروي ، وجميعهم يتسبون بطريق أو آخر إلى هذه الطليعة المؤمنة .

كان تأثير حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد عاماً وشاملاً ، ظهر في مكافحة الغزو الاستعماري ، ومواجهة الفتن ، ومعالجة التحديات الفكرية ، وتربية الجيل الناشئ ، تعليمياً وثقافياً ، وعرض الفكر الإسلامي ، وصيانة العقيدة من التشويه ، وتنقية الإسلام من الشوائب ، وبذل العلماء المتسبون إليها والمسترشدون من خلفاء الإمام الشهيد ، جهوداً جبارة ومشكورة في إنشاء مدارس ومراكز الإصلاح والتربية ، وخدموا العلوم الإسلامية ، وفي مقدمتها التفسير والحديث ، والفقه ، ومثّلوا دوراً رائداً معترفاً به في شرح هذه العلوم ، ونشرها ، وإصلاح النفوس ، والتربية الدينية ، وبهم انتشرت التعاليم الإسلامية في الهند ، وأقبل الناس على العمل بالكتاب

والسنة، وأنشأوا مجامع علمية للدفاع عن الإسلام ونشر العلوم والثقافة الإسلامية، ومكافحة الغزو الفكري، ودافعوا عن الإسلام علمياً ودينياً، وقد أدوا دوراً رائداً في نشر العلوم الإسلامية، وصيانة العقيدة من التحريف.

وأما ندوة العلماء التي أنشئت في كندا في ١٨٩٤م - ١٣١٢هـ، وهي المدرسة الثالثة الكبرى، فيصل نسبها إلى هذا الجيل من الربانيين، فقد أسسها الشيخ محمد علي المونجيري، ونخبة من العلماء، من بينهم العلامة شبلي النعماني، وكان من كبار مساعديه الشيخ عبد الحي الحسني، وكان كلاهما من مسترشدي العلامة المحدث الشيخ فضل الرحمن الكنج مرادآبادي، وهو من تلاميذ العلامة المحدث الشيخ عبد العزيز الدهلوي.

كانت ندوة العلماء التي أنشئت كحركة تعليمية وتربوية، تجربة فريدة في التعليم والدعوة، والتربية، فقد انضم إلى هذه الحركة علماء باحثون كالعلامة شبلي النعماني (١٣٣٢هـ) صاحب المؤلفات العلمية الكثيرة، ومؤسس المجمع العلمي المعروف بدار المصنفين في أعظم كراه، وعدد من كبار المشايخ والمصلحين، وقد كان تأسيس هذه المدرسة بغرض إقامة قنطرة تصل بين الثقافتين الإسلامية والغربية، والطبقتين: علماء الدين، والمثقفين العصريين، وإحداث فكر جديد يجمع بين محاسن القديم والجديد.

كان لهذه المدرسة فضل لا يستهان به في نشر الثقافة الإسلامية، وعرض السيرة النبوية، ومحاسن الإسلام وتعاليمه في

أسلوب عصري قوي وثوب قشيب، فقد كان لكتابات العلامة شبلي النعماني، وتلميذه النابغة العلامة السيد سليمان الندوي، و آخرين من خريجي ندوة العلماء تأثير قوي في نشر الفكر الإسلامي، وردّ كيد أعداء الإسلام بأسلوب علمي رزين .

وتولى رئاسة ندوة العلماء سماحة الشيخ أبي الحسن على الحسيني الندوي بن العلامة السيد عبد الحي الحسيني، فقطعت ندوة العلماء شوطاً بعيداً في الكفاح العلمي، والدعوة الإسلامية، والتربية وإصلاح العقيدة والمجتمع في عهد رئاسته، وقام سماحته بدور قيادي في معظم الحركات الدينية والتربوية، بالإضافة إلى مجهوده العلمي الجبار، وكان متمسكاً بعقيدة التوحيد الخالص، ونقل كتاب "تقوية الإيمان" للشاه إسماعيل الشهيد إلى العربية باسم "رسالة التوحيد" وقد نشرته وزارة الأوقاف الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية بنطاق واسع، ونال قبولاً عاماً مثل كتاب "عقيدة التوحيد" للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي، وأوضح سماحة الشيخ الندوي تمسك أسرته بعقيدة التوحيد، ومن المعلوم أن أسرته كانت دائماً على صلة بأسرة الشيخ ولي الله الدهلوي والإمام السرهندي، فكتب يقول في كتابه "في مسيرة الحياة": .

" يطلعنا تاريخ الأسرة القديم والمعاصر على حقيقة لها شأنها، وهي أن هذه الأسرة منذ قدموها إلى الهند (وقد تم ذلك بورود الأمير الكبير السيد قطب الدين محمد المدني مؤسس هذه الأسرة في الهند في أوائل القرن السابع الهجري كما مرّ) إلى عهدنا هذا، لم تنزل

متمسكة بعقيدة التوحيد الخالص ، بعيدة عن الأعمال الشركية ، متجنبية للبدع والمحدثات ، مصونة من تأثير العقائد الشيعية ، وكانت الدعوة إلى التوحيد واتباع السنة المطهرة شعارها الدائم وميزتها البارزة.

ومن الأدلة على ذلك أنه لا يوجد لأحد من العلماء والصالحين من هذه الأسرة الذين كانوا من كبار مشايخ عصرهم ، وكانوا يعدون من الأولياء والصالحين المعروفين ، قبر مخصص ، ولا توجد على قبر أحدهم قبة ولا عمارة ، وإذا وجد هناك قبر مخصص أو حائط يضم عدة قبور بصورة استثنائية ، فذلك للحفاظ من الفيضانات ، أو من صنع بعض المريدين والمحبين ، لا من صنع أفراد الأسرة ، ولم يسمع كذلك في تاريخ الأسرة بالاحتفال بمناسبات الميلاد أو الاجتماع على القبور ، أو العمل بالطقوس والتقاليد التي راجت في الهند واتخذها الناس شعاراً على قبور الأولياء والصالحين ، أما القبور التي هي في قرية نصير آباد - بمديرية رائي بريلي - مركز هذه الأسرة الأول ، فهي تشبه قبور جنة البقيع في المدينة المنورة ، وجنة المعلاة في مكة المكرمة في عهد المملكة السعودية ، فهي قبور طينية عادية لا كتابة عليها ، ولا لوحة ، ولا شئ من المعالم ، ولا تزال الأسرة - حفظها الله وحماها من الشرور والفتن - في حدود علمي - رغم ما تكون فيها من علات ومواطن ضعف - بعيدة عن الإشراك والبدع والمحدثات إلى هذا اليوم ، والغيب عند الله ، وما

تدري نفس ماذا تكسب غداً" (١).

وكان الشيخ الندوي يرأس بجانب رئاسة ندوة العلماء، هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند، ومجلس التعليم الديني، وعدة منظمات هندية وعالمية.

وبعد وفاته تولى رئاسة ندوة العلماء فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسيني الندوي الذي ينهج منهج الشيخ أبي الحسن الندوي في الدعوة والتربية والتعليم والتوجيه والإرشاد، وبجانب رئاسته لندوة العلماء يرأس هيئة قانون الأحوال الشخصية الإسلامية لعموم الهند وهي كبرى المنظمات الإسلامية في الهند في العصر الحاضر، كما يشرف على كثير من المدارس الدينية والمنظمات الإسلامية العاملة في مجال خدمة الإسلام، ويرأس الحكام والوزراء وينصحهم، ويشرح لهم موقف الإسلام نحو القضايا والأحداث، ويلفت أنظارهم إلى مواضع الضعف، وإلى حل مشاكل المسلمين بحكمة وأسلوب متزن رزين، وهو منهج السلف الصالح، وهو منهج ندوة العلماء الذي يعرف بالوسطية والاعتدال والجمع بين الأصالة والمعاصرة، ومعالجة القضايا بالحكمة والموعظة الحسنة، ومراعاة البيئة والطبيعة مع التمسك بعقيدة التوحيد النقية الصافية، والتزام أصول الإسلام وتعاليمه، والاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله، كما اختاره العلماء المصلحون والمجددون في عصور مختلفة في الهند والجزيرة العربية أمثال

الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي ، والإمام ولي الله الدهلوي ،
والإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، والشاه إسماعيل الشهيد صاحب
"رسالة التوحيد" و أتباعهم في الهند ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب
النجدي الحنبلي وأتباعه في الجزيرة العربية.

ولكن بعض الكتاب الحاقدين والمغرضين في العصر المعاصر
شوَّهوا صورة هؤلاء المجددين والمصلحين ، وأثاروا الشكوك
والشبهات والمغالطات حول أعمالهم ، وفي قد نشرت وسائل الإعلام
هذه المفتريات بنطاق واسع ، وبشكل يضلل الأذهان ويشوش
النفوس ، ويحدث الكراهية والعداوة ضد المنتسبين إليهم ،
والمؤسسات والمدارس التي يصل نسبها إلى هؤلاء العلماء والدعاة
والمصلحين وأتباعهم ، ولتمسك هؤلاء العلماء والمفكرين
الإسلاميين بعقيدة التوحيد الخالص وصفهم أهل البدع والخرافات
في الهند بـ "الوهابيين"

فكانت الحاجة إلى إزالة هذه الشكوك ليُعرف الكتاب الذين
يقومون ببت الشكوك والشبهات حول هؤلاء المفكرين والدعاة
الذين مثَّلوا دورهم في الدفاع عن الفكر الإسلامي السليم في
عهودهم ، و تصفو أذهانهم ، وتتغير مواقفهم نحو المدارس ومراكز
التعليم والتربية التي تتبع منهج هؤلاء العلماء المجددين ، فألف فضيلة
العالم الرباني الشيخ محمد الرابع الحسن الندوي (الرئيس العام
لندوة العلماء) رسالة بالأردية في هذا الموضوع ، نالت قبولا عاماً ،
ورأى بعض الإخوة أن تنقل إلى العربية ليستفيد بها الإخوة العرب ،

فنقلها إلى العربية الفصحى الأخ العزيز محمد وثيق الندوي بجدارة وإتقان، ثم تناولها صاحبها بتصحيح وتهذيب، وحذف وإضافة، فجاءت كالأصل، وها هي طبعتها العربية بين أيديكم، والله ولي التوفيق.

محمد واضح رشيد الحسني الندوي

رئيس الشؤون التعليمية

لندوة العلماء لكاناؤ (الهند)

١٤٣٧ / ٤ / ٢٤ هـ

٢٠١٦ / ٠٢ / ٠٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حركة الإصلاح والدعوة وآثارها

في الهند والجزيرة العربية في القرنين الماضيين

العمل الإصلاحي وتطوراتها في الهند:

كلُّ من له اطلاع على تاريخ حركة الإصلاح والدعوة الإسلامية وتطوراتها في الهند في القرنين الماضيين، يعرف أن الحركة الإصلاحية الدعوية التي بدأها الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، قد تطورت إلى عمل الكفاح والجهاد بعد مرورها من مراحل الدعوة والإصلاح والتربية والتزكية والتعليم، وقد تركت هذه الحركة أثراً خالداً على مجرى التاريخ، كان من نتيجتها أن قام خلفاؤه والمسترشدون به بجهود عظيمة وأدوار تاريخية في مجال بناء السيرة الإسلامية المثالية وإصلاح العقائد، والرد على مظاهر الشرك، ومكافحة الطقوس والتقاليد الجاهلية، وفي مجال التعليم والتربية في شبه القارة الهندية.

دعاية مفضلة:

لا تزال تلمس آثارها في جهات العمل الإسلامي المتعددة في شبه القارة الهندية، ولما رأى الإنجليز تأثير العمل الدعوي والإصلاحي لأتباع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد كسد منيع في

وجه أهداف الإنجليز الغاشمين الاستعمارية، وصف الإنجليز جهود هذه الحركة الدعوية الإصلاحية بأوصاف سيئة.

كانت حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي في بلاد نجد تشبه بحركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في إصلاح العقيدة ومحاربة البدع، وكان رجال البدع في الهند خالفوا حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ووصفوها وصفاً سيئاً، فانتهز الإنجليز الإشاعة السيئة، ووصفوا حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد بـ"الوهابية" بهدف إحباط جهود الحركة، وروجوا أنها منبثقة من حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي، كان قد شاع في الهند أن حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي قد هدمت معالم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وأثارةً تاريخية قديمة أخرى كانت تعتبر أماكن التعظيم على أساس عاطفة الحب والفداء للرسول صلى الله عليه وسلم، وكان هدم هذه المعالم بعنوان تصحيح عقيدة التوحيد والإصلاح، والرد على مظاهر الشرك، فاعتبر عامة المسلمين في الهند هذه الخطوات التي قامت بها حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي إساءة إلى الأماكن المقدسة القديمة، وأبدوا سخطهم وامتعاضهم، فانتهز الإنجليز هذه الظاهرة ووصفوا هاتين الحركتين حركة واحدة، لتضليل الأذهان، وإفساد الرأي العام، وإحداث الكراهية في النفوس ضد الحركتين الدعويتين، مع أنه لم يكن بين زعماء الحركتين اتصال مباشر وتطابق كامل في جهودهما.

الإمام أحمد السرهندي ومنهجه في الإصلاح:

أما الإمام أحمد بن عرفان الشهيد فإن حركته استمدت

لحمتها وروحها ومنهجها من حركة الإمام أحمد السرهندي (٩٧١هـ - ١٠٣٤هـ) الذي قام بالرد على مظاهر الشرك، ومكافحة المعتقدات الباطلة، والأوهام والخرافات والتقاليد الجاهلية والطقوس الهندوكية من تقديس مظاهر الشرك، والاستعانة بغير الله، وتقليد أعياد الكفار ومحاكاة تقاليدهم وعاداتهم الشركية، وتقديس الأولياء والمشايخ، وترجيح ولاية الأولياء على ولاية الأنبياء وغيرها، وإن تشديد النكير على هذه الأعمال الشركية والعادات الجاهلية ومقتها يتجلى بصورة واضحة في رسائله، فإن الرد على البدع والخرافات، وإصلاح العقائد الفاسدة، ونشر العقيدة السليمة النقية الصافية، هو عمله التجديدي العظيم.

يقول سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي:

" كان هذا هو العمل التجديدي العظيم لإصلاح العقائد الفاسدة والرد على الشرك والبدعة، والدعوة إلى الدين الخالص، الذي بدأه الإمام السرهندي على أرض الهند - التي كانت الأقلية المسلمة فيها تواجه خطر الجاهلية المشتركة بصفة دائمة، لإحاطة الأكثرية المشتركة بها، وقرب عهد البلاد بالإسلام - ووسعه وأكملة فيما بعد مشايخ سلسلته الكبار مثل حكيم الإسلام ولي الله الدهلوي وأفراد أسرته إلى الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، وكان ذلك من طريق الخطابة والكتابة والجولات الدعوية الواسعة والحركة الجهادية العظيمة" [1].

السمة البارزة لأسرة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد:

وليس يخاف على كل من له إلمامٌ بتاريخ حركة الإصلاح والدعوة في شبه القارة الهندية أن الشاه علم الله الحسيني الرائي بريلوي وهو الجد الرابع من أجداد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد، كان ذا حساسية زائدة في هذا المجال حتى لا يحتمل مقابلة أي مرتكب للبدع والخرافات والشعائر غير الإسلامية، فضلاً عن التكلم معه، بل يقطع طرفه عنه.

أبرز جوانب العمل في حركة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد:

وإن الدرجة الرفيعة التي نالها الإمام أحمد بن عرفان الشهيد في السلوك والإحسان والمعرفة والتوحيد الخالص والتفويض كانت نتيجةها أنه كان يركز تركيزاً بالغاً في جولاته الدعوية وحركته الجهادية على تصحيح العقيدة، وإصلاح العقائد الفاسدة، وإزالة البدع، ويشنع على المعتقدات الشركية والتقاليد الجاهلية والطقوس الهندوكية، ويؤكد على التمسك بالسنة السنية، ومكافحة المنكرات، والرد على مظاهر الشرك، وتفصيل كل ذلك مسجلاً في الكتب المؤلفة حول حياته وحركته الجهادية والإصلاحية وكتابه "الصراط المستقيم" خير مثال لذلك، وقد لوحظت طبيعته هذه بصورة واضحة خلال إقامته بالحجاز المقدسة أيضاً، ونقل هذا الكتاب إلى العربية أحد المسترشدین به الشيخ عبد الحي البدهانوي وقدمه إلى العلماء العرب، فتلقوه بتقدير وإعجاب بالغين.

تشابه بين الحركتين الإصلاحيتين:

وأما إصلاح الرسوم والطقوس الشركية والبدع ومكافحة

التقاليد الجاهلية ، والدعوة إلى التوحيد الخالص فيوجد تشابه وتوافق بين الحركتين في هذا المجال مع أنه لم يكن حصل بينهما اللقاء والاتصال المباشر ، لأن عهد أحدهما يختلف عن الآخر ، فقد ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي عام ١١١٥ هـ وتوفي عام ١٢٠٦ هـ ، بينما ولد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد عام ١٢٠١ هـ وتوفي ١٢٤٦ هـ ، وكان انتماءه إلى الإمام ولي الله الدهلوي ، وكان عهد الإمام ولي الله الدهلوي والشيخ محمد بن عبد الوهاب واحد ، ولكن لا نجد ما يدل على معرفة الإمام الدهلوي به وتعرفه عليه فضلاً عن مقابلته ولقائه ، وقد سافر الإمام الدهلوي إلى الحجاز للحج عام ١١٤٣ هـ وكان في الثلاثين من عمره ، ومكث في الحجاز أكثر من سنة ، للحج والزيارة والاستفادة من مشايخه وعلمائه في الحديث النبوي الشريف وهذه هي الفترة التي كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقوم فيها بعمله الدعوي التجديدي ، ولكن حركته كانت محدودة في منطقة نجد ، ورغم عدم اتصال أحدهما مع الآخر يوجد فيما بينهما توافق في جوانب عديدة في حركتهما من الدعوة إلى التوحيد الخالص ، والرد على مظاهر الشرك والوثنية ، ومحاربة البدع والتقاليد الجاهلية.

سبب نجاح حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي :

ومما ساعد في انتشار حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتوسع نطاقها ونجاحها ، كسبُ تائيد وحماية الملك السعودي حينذاك ، فنالت حركته قبولاً وانتشاراً واسعاً بمساندة الحكومة وتأييدها ، وكتب لها التأثير والنفوذ حينما تولى آل سعود مقاليد

الحكم في المملكة العربية، ولكن لم تلاحظ آثار هذه الحركة الإصلاحية في أرض الحجاز حينما وصل إليها الإمام الدهلوي ومكث بها، كما لوحظت بعده في الحجاز ونجد والمناطق المجاورة.

وقد بحث الأستاذ مسعود عالم الندوي (م ١٩٥٤م) حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته وأبعاها وألف كتاب "الشيخ محمد بن عبد الوهاب المصلح المفترى عليه" وفقد المزاعم ودحض المفاهيم المغلوطة والمفتريات على حياته وأعماله الإصلاحية العظيمة، ونال هذا الكتاب قبولاً عاماً في الأوساط العلمية والدعوية.

بين حركة الإمام الدهلوي وحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب معاصراً للإمام الدهلوي، وكان بينهما تشابه وتوافق في الدعوة إلى التوحيد الخالص، والرد على المعتقدات الباطلة ودحض الأوهام والخرافات والتقاليد الجاهلية والقضاء على الشعائر غير الإسلامية، والحفاظ على السنة النبوية المشرفة، فنالت حركتهما قبولاً واسعاً، وأثرتا تأثيراً كبيراً وعميقاً في منطقتهما، وقد عرّف العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله تعالى في كتابه "رجال الفكر والدعوة في الإسلام" (الجزء الرابع الخاص بحياة الإمام الدهلوي) بشخصية الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته الإصلاحية وجهوده التجديدية ومنهجه في الدعوة، فيقول:

"لقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي الخليلي (١١١٥هـ - ١٢٠٦هـ - ١٧٠٣م - ١٧٩٢م) أحد

المعاصرين الكبار للإمام الدهلوي والمصلحين العظام ، ومن علماء نجد الممتازين وأصحاب الدعوة والعزيمة فيها ، فهو بالنظر إلى سنة ولادته يقارب الإمام الدهلوي في سنه ، ولكنه بالنظر إلى سنة وفاته متأخر عنه بثلاثين سنة ، ورغم هذه المعاصرة وكثير من الأمور المشتركة بينهما لم نعثر على معرفة الإمام الدهلوي به وتعرفه عليه ، فضلاً عن مقابله ولقائه ، وقد كان الإمام الدهلوي سافر للحج عام ١١٤٣هـ ومكث في الحجاز أكثر من عام واحد ؛ وهذه هي الفترة التي كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته فيها منحصرتين محدودتين في منطقة عيينة والدرعية من نجد ، ولم يكن قد بايعه الأمير محمد بن سعود - حينذاك - ولا وقعت بينهما اتفاقية على القيام بنشر هذه الدعوة وإقامة الحكومة على أساسها ومساندتها وتأييدها ، بل كانت هذه الاتفاقية عام ١١٥٨هـ التي أصبحت الدرعية نتيجة لها مركزاً لهذه الدعوة وعاصمة دينية لحكومتها ، وقد عرفت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الحجاز وكتب لها التأثير والنفوذ حين تولى آل سعود حكومة مكة المكرمة عام ١٢١٨هـ بعد وفاة الشيخ باثنتي عشرة سنة ، وبعد وفاة الإمام الدهلوي باثنتين وأربعين سنة .

خصائص حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وقد كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجهاده وجهوده العظيمة تدور حول الدعوة إلى التوحيد الخالص ، والرد على مظاهر الشرك ، واستئصال التقاليد والطقوس الجاهلية (التي كان لبعض مظاهرها وشعائرها الظهور والانتشار لبعده العهد عن

زمان النبوة، والجهل العام، وغفلة العلماء في بعض القبائل والأماكن من المنطقة الشرقية في الجزيرة العربية) وتدور حول توضيح الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، وشرح حقيقة التوحيد الذي يرضى به الله تعالى لعباده، ودعا القرآن الكريم إليه دعوة صريحة واضحة، وتنقيحها، وما حصل للشيخ في هذا الصدد من النجاح لا يوجد له نظير في الدعاة والمصلحين في العهود الماضية، وإن كان - حسب ما يقول الدكتور أحمد أمين - يرجع ذلك - إلى حد كبير - إلى قيام حكومة (وهي الحكومة السعودية) على أساسها وتبنيها لهذه الدعوة، وتشجيعها لها وإشرافها عليها، ولكن مما لا يقبل الجدل والاختلاف أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قام - في هذا الصدد - بدور مصلح ثوري عظيم، ومهما خالفه بعض الناس في بعض أفكاره وآرائه وأسلوبه في عرض الدعوة ومنهجه، ولم يوافقه مئة في مئة إلا أنه لا يمكن إنكار تأثير هذه الدعوة وفائدتها والحاجة إليها في تلك الظروف الخاصة.

مشابهة بين حركتين

وأما ما يتعلق بتوضيح عقيدة التوحيد وتنقيحها، وإثباتها بالقرآن الكريم، وشرح الفوارق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فإن هناك شبهاً كبيراً بين آراء الشيخ وتحقيقاته وبحوثه، وآراء الإمام الدهلوي وتحقيقاته وبحوثه، وليس هذا إلا نتيجة الدراسة العميقة المباشرة للقرآن الكريم وتدبره، والمعرفة الدقيقة الواسعة بالكتاب والسنة، وهي التي أدت بشيخ الإسلام ابن تيمية في

عصره، وكبار الدعاة والمصلحين والعلماء والمحققين في عصورهم إلى نتائج مشابهة متقاربة، ودفعتهم إلى تبليغ التوحيد الخالص والدعوة الجريئة الواضحة إليه.

الأعمال التجديدية لحركة الإمام الدهلوي

ولكن دائرة أعمال الإمام الدهلوي الإصلاحية والتجديدية أوسع وأشمل من ذلك بكثير، فإنها تضم بين جوانبها إحياء العلوم الإسلامية وتجديد الفكر الإسلامي، والكشف عن أسرار الشريعة ومقاصدها، والمأثرة العلمية لعرض التعاليم الدينية والشريعة الإسلامية في صورة متناسقة شاملة، ومقاومة الجمود والتحجر العلمي والعصبية الشديدة للمذاهب الفقهية، والعمل الاجتهادي للتطبيق بين العقل والنقل، والتوفيق بين المذاهب الفقهية الأربعة، والمحاولات الجادة للحفاظ على السلطة الإسلامية في الهند، والدراسة العميقة للأحاديث النبوية الشريفة والجهود التجديدية لنشرها وتعميمها، والدعوة إليها، والدعوة إلى تزكية النفوس وإصلاح القلوب، والوصول إلى درجة الإحسان وتعليم طرقها ومناهجها، وتربية الرجال الأكفاء، وكان يتميز الإمام الدهلوي بركة وحنان، وقوة عاطفة كانت - على حد تعبير محمد إقبال الشعري - كوجود ماء زمزم الرقيق الفياض في أرض الحجاز الصلبة الحجرية، وبذلك يجمع بين صلابة عقيدة التوحيد وحنان القلب، وهو أثر من آثار بيئة الإمام الدهلوي وتربيته الروحية الخاصة، ويمكن أن نشاهد أمثله في قصائده ومدائحه النبوية على ممدوحها الصلاة والسلام.

ولما كان الإمام ابن تيمية يمتاز بفكره وسعة علمه وأهمية عمله ، فمن من المناسب أن تكون هناك دراسات مقارنة بين الإمام الدهلوي وبين شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية ، والبحث عن نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما بدلاً من الدراسة المقارنة بين الإمام الدهلوي والشيخ محمد بن عبد الوهاب - رغم جهوده العظيمة المشكورة - وتتبع نقاط التشابه والاتفاق بينهما ، لأنهما - أي المتقدمي الذكر - يبدو بينهما الشيء الكثير من وجوه التشابه في تبحرهما العلمي وبلوغهما درجة الإمامة والاجتهاد في علوم الكتاب والسنة ، وسعة النظر وعمق التفكير وتنوع الأعمال الإصلاحية والتجديدية ، وعظمة الشخصية وعبقريتها - وقد تقدمت إليها إشارات في مواضع متفرقة من الكتاب - رغم الاختلاف الطبيعي الذي هو نتيجة البيئة والتعليم والتربية ، واختلاف العهد والمكان ، والسلوك والتربية الروحية الباطنية" () .

العَمَلُ التَّجْدِيدِيُّ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ

ولما ظهر في عهد الشيخين الجليلين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ ولي الله الدهلوي أن عقيدة التوحيد الخالص قد فسدت إلى حدٍ يلفت النظر ، ودخلت فيها أعمال شركية لغياب جهود الإصلاح والدعوة وتسرب أمور محدثة إلى حب النبي صلى الله عليه وسلم في شبه القارة الهندية والبلاد العربية كليهما ، تشوهت بها عقيدة التوحيد الصحيحة ، شعر المصلحون المعاصرون

بميس الحاجة إلى نشر تعاليم الكتاب والسنة، والعقائد الصحيحة، والتوحيد الخالص، والرد على الإشراك والبدعة، وإصلاح التقاليد والعادات، وتزكية النفوس وتهذيب الأخلاق، كان في مقدمتهم الإمام ولي الله الدهلوي والشيخ محمد بن عبد الوهاب اللذان قاما بعمل تجديدي ثوري في بيئتهما في هذا المجال، ولكن الذين لم يدركوا كنه حركتهما الإصلاحية وجهودهما الدعوية، استقبحوا عملهما التجديدي، واعتبروه مخالفاً لحب النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان هذا العمل التجديدي الإصلاحي ضرورياً، بل كان عملاً تجديدياً وخدمة عظيمة لنصرة العقيدة الإسلامية الصحيحة، وإن الوسائل التي اختيرت للقيام بهذه المهمة الإصلاحية أثارت الشكوك لدى الذين اعتبروها غير ملائمة للوضع والمقتضى، ولكن الدراسة الدقيقة الأمانة لأعمال للمصلحين العظميين توضح هذه المهمة الإصلاحية بصورة كاشفة لا تدع للشك مجالاً، وتبعث على التقدير والإشادة بنتائج عملهما التجديدي في مجال تصحيح العقائد الفاسدة، وإصلاح الطقوس والتقاليد، وتطهير المجتمع المسلم منها، وإن الجهود والأعمال العظيمة التي قام بها أفراد أسرة الإمام الدهلوي وخاصة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد خليفة الشيخ عبد العزيز الدهلوي ابن الإمام الدهلوي في مجال إصلاح العقائد الباطلة ونشر التوحيد الخالص، تحمل نفس التأثير الذي تحمله أعمال هذين الإمامين المجددين.

الصلة بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآل سعود:

وإن الصلة الدينية الوطيدة التي قامت بين الحكومة السعودية

وأسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد تبني الملك السعودي ابن سعود حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تستمر إلى يومنا هذا، ويراها ويطلع عليها الذين يزورون المملكة العربية السعودية بلقائهم مع علماء ومشايخ هذه الأسرة، ويرون ما يتمتعون به من نفوذ وسيادة دينية، وعلاقاتهم الطيبة مع زعماء الحركات والجماعات الدينية والعلماء والإسلاميين .

الصلة بين آل الشيخ وأسرة الإمام أحمد بن هرفان

ونجد تصديقاً لذلك مما قام به سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي من الاتصال بأعضاء أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والكتابة عما وجدته فيهم من الصفات الدينية والأعمال الدعوية، وذلك خلال زيارته للحجاز المقدسة، وقد أقام فيها إقامة طويلة مرتين للغرض الدعوي، ورافقه في الرحلة الأولى التي كانت عام ١٩٤٧م، شقيقه الأكبر الشيخ محمد الثاني الحسيني (م ١٩٨٢م) وفي الرحلة الثانية التي كانت عام ٥٠ - ١٩٥١م، تشرفت بصحبته، فشاهدنا عن كثب صلة أسرة آل الشيخ بالشيخ أبي الحسن الندوي كأنها صلة أصحاب فكرة واحدة ودعوة واحدة، ووجدنا الشيخ عمر بن الحسن آل الشيخ وهو من أعقاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رجلاً مخلصاً ومتحمساً للعمل الدعوي، وكان معتدلاً، ومحترم العلماء والدعاة، ويدي تقديره لجهودهم، وكان رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمنطقة الحرمين الشريفين وكان رجال الحكومة يحترمونه احتراماً، ويقيمون له وزناً، يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي:

الشيخ عمر بن الحسن آل الشيخ

"وقد كان من ثمار الإقامة بمكة المكرمة التعرف على الشيخ عمر بن الحسن آل الشيخ، وحبه وثقته في التي كانت لها فائدتها الكبيرة في حق العمل الدعوي وجماعة الدعوة والتبليغ، فقد كان هو من أعقاب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، والأخ الشقيق لقاضي القضاة وشيخ الإسلام بالمملكة السعودية الشيخ عبد الله بن الحسن - الذي كان أكبر شخصية دينية في السعودية، ورئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرياض، وكان مستشاراً لولي العهد الأمير سعود وموضع ثقة عنده، وقد عطفه الله تعالى إلى حبي، وصلة خاصة بي، فكان يقرأ كتبي ورسائلي، ويقرأها لمن يستمع إليها، وقضت هذه الصلة والثقة على تلك الأقاويل والإشاعات التي كان يثيرها بعض الناس لأسباب مختلفة لإثارة الشكوك والشبهات حول الجماعة، وإساءة الظن بها، وقد كان الشيخ عمر في هذا الأمر على ثقة ويقين إلى حد أنه دافع بنفسه عن الجماعة، وأيدها وخماها من التعرض للمشاكل، ولو لم يكن في ظاهر الأسباب هذا الموقف من الشيخ عمر، لفاتت الجماعة فرصة العمل هنا بحرية وانطلاق.

ولم يزل الشيخ عمر على هذه الصلة الوثيقة التي تحولت إلى صلة أخوية وصلة عطف وشفقة، يمكن أن يقدر ذلك بتلك الرسائل الودية التي بعث بها إلي، ولله جنود السموات والأرض" (١).

موقف الشيخ أبي الحسن الندوي؛

وقد لاحظ سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي

في إقامته الطويلة في الحجاز أن المملكة العربية السعودية بدأت تتأثر على مرّ الزمن بالمؤثرات السائدة في العالم وفي المنطقة ، فإنها إن تخلت بسبب هذه المؤثرات عن تلك الدعوة والحركة التي قامت بفضليها ولم تعتن بنصائحها وتوجيهاتها ، ولم يبق لها وازع قوي من خلق ولا دين ، فإنها ستسير على طريق الجباية بدل طريق الهداية والإصلاح والدعوة ، وقد أحس الشيخ الندوي بهذا الخطر ، وكتب رسالة بليغة باسم "بين الجباية والهداية" ثم سلمها إلى الشيخ عبيد الله البلياوي المقيم في مكة المكرمة الذي بلغها إلى الشيخ عمر بن الحسن ، فقد قرأها على سمو الأمير سعود بن عبد العزيز آل سعود ولي العهد ، ونبه الشيخ الندوي في هذه الرسالة الموجهة إلى أصحاب الحكم بحكمة وأسلوب موافق للمقتضى إلى أن الحكومة بدأت تسير على طريق الجباية وأن ذلك نذير خطر ، ثم بين ما يعلق المسلمون على هذه الدولة من آمال كبيرة ، وشرح فضل حكومة الهداية وتأيد الله تعالى ونصره لها ، وحب المسلمين وفداءهم لها ، شعرت الحكومة بمسئوليتها أم لا؟ وماذا ظهرت النتيجة؟ هذا موضوع مستقل لا يسع المقام ذكرها ، ولكن أسرة آل الشيخ لم تغافل عن مسئوليتها ، وأثر منهج الشيخ الندوي في الدعوة بالحكمة والنصح الحسن على آل الشيخ أثراً حسناً عميقاً ، فنمت وتعمقت صلتهم به بمر الزمن ، وتوسعت نطاق الصلة والود.

صلاته مع أصحاب الفكر والدعوة في المملكة العربية :

ونشأت صلات ودية مع العلماء والأدباء وأصحاب الأقلام العرب وتوطدت الصلة بالإضافة إلى الشيخ عبد الله بن الحسن أخي الشيخ عمر بن الحسن ، بالشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ الذي

أصبح فيما بعد وزير المعارف ، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ خطيب عرفات وإمام الحرم الذي زار ندوة العلماء بدعوة من الشيخ أبي الحسن الندوي ، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ الذي كتب عنه الشيخ الندوي أنه تعرف عليه في مصر عام ١٩٥١م ، وتعمقت صلته به ، وكان مفتي أعظم للمملكة العربية السعودية ورئيس رابطة العالم الإسلامي منذ قيامها ، وكان يفضل الشيخ الندوي على جميع العلماء ، فبذلك نشأت الصلة الودية القوية التي لم تكن نشأت بين مؤسسي هاتين الحركتين العظيمتين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، بين زعماء الحركتين في هذا العصر ، وكانت هذه الصلة صلة حب وتقدير وسببها التوافق والتشابه والوحدة في الهدف .

الملك عبد العزيز آل سعود وحمايته لحركة الدعوة والإصلاح :

وكان مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز آل سعود قد تولى مسئولية نشر دعوة وحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي دعا إلى التوحيد الخالص والتمسك بالسنة المشرفة ، فوفر لها الحماية الحكومية ووسائل الدعوة ، ثم أوصى أولاده وخلفاءه بحماية هذه الدعوة والحركة والعمل بتوجيهات أصحابها ، وقرر كتاب الله القرآن الكريم دستور الدولة ، ونفذ هذا الدستور القرآني بمشورة العلماء وآرائهم ، واتخذ تدابير ووسائل مؤثرة لتكون عقيدة التوحيد سارية المفعول عملياً .

موقف العلماء ومنهجهم في النصيح والتوجيه :

وقد مضى على قيام هذه المملكة العربية السعودية نحو قرن

مروراً من أولاد الملك ابن سعود وانتهاءً إلى أحفاده، ولكن خلفاءه وأعقابهم لم يغيروا فيما رسمه لهم جدهم الأعلى، ونظراً إلى ذلك كلما رأى العلماء في المملكة والبلدان الأخرى في العالم أن الحكومة السعودية تتعد عن تأكيد العقيدة الإسلامية والمنهج الإسلامي السليم لفتوا أنظار الحكام والأمراء إلى ذلك، وركزوا عنايتهم إلى إصلاح هذا الجانب، وسد الثغرة، فقد قام العلماء والدعاة بلفت أنظار الحكام ونصحهم كلما اقتضى الوضع التذكير والتوجيه نظراً إلى وقوع تهاون أو تقصير في منهج الحكومة الإسلامي بتأثير القوى الغربية، وذلك بتقد بناء أو دعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

منهج الشيخ أبي الحسن الندوي في الدعوة والتوجيه :

وممن قاموا بلفت الأنظار إلى الأخطاء ومواضع الضعف وينصح الحكام بأسلوب دعوي حكيم، العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسيني الندوي رحمه الله تعالى، فقد اختار الشيخ الندوي أسلوباً دعوياً حكيماً في إسداء النصيحة ولفت الأنظار، كان يذكر أعمال الملك ومنجزاته اللائقة بالتقدير ويبيد تقديره لها ويشني عليها، ثم يلفت النظر إلى مواضع الضعف والتقصير التي تحتاج إلى الإصلاح والتوجيه، وقد التقى بأكثر من أتوا بعد الملك المؤسس عبد العزيز من الحكام وتحدث إليهم ونصحهم، وقد بدأ لقاءه معهم من عهد الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن حيث وجه إليه رسالة توجيهية بعنوان "بين الجباية والهداية" وبلغها إليه أحد كبار العلماء في المملكة العربية الشيخ عمر بن الحسن آل الشيخ وقرأها عليه، ثم استمرت هذه اللقاءات والمحادثات طيلة حياته.

ترحيب ودموة وتاريخ؛

زار ندوة العلماء عمُّ الملك سمو الأمير مساعد بن عبد الرحمن آل سعود نيابةً عن عاهل الجزيرة العربية الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، عندما زار الملك بلاد الهند، وشرف دار العلوم لندوة العلماء بزيارته مع معالي الشيخ عبد الرحمن البسام سفير الدولة السعودية في باكستان في اليوم الرابع من ديسمبر ١٩٥٥م، وعقدت ندوة العلماء لسموه حفلة تكريم حضرها عدد كبير من رجال الثقافة وأعيان البلد ومثلي الحكومة، وألقى الشيخ أبو الحسن علي الحسني رحمه الله تعالى كلمة تحية وترحيب بالضيف الجليل - وهو معروف في الدولة السعودية بثقافته الواسعة وعقله الكبير - باسم أعضاء الندوة وأعيان البلد، والكلمة مثال جميل للدعوة البليغة، والأسلوب الحكيم والأدب الرفيع، ولذلك نقدمها إلى القراء لتعم الفائدة، فقال في كلمته القيمة .:

ذكرى دهة الإسلام ومنتهم على هذه البلاد.

"إنها فرصة سعيدة مباركة نحبي فيها ضيوفاً كراماً تربطنا بهم الروابط القوية الروحية، ووحدة العقيدة والدين والإيمان، ووحدة تتضاءل أمامها وحدة الجنس واللون والوطن، وأصرة تضمحل أمامها أصرة الرحم والدم، نحبي فيها سادة ينتمون في النسب واللغة والوطن إلى أولئك الدعاة المخلصين المحسنين الذين أسبغوا على هذه الديار نعمة الإسلام، ووصلوها برسالة محمد عليه الصلاة والسلام، وأخرجوا من أدركته السعادة من أهل هذه البلاد من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل

الإسلام، نعمة لا تقوم بشكرها، ولا نفى بحقها فلو لا آباؤكم الكرام، ولولا دعاة الإسلام لبقينا في جاهلية وشقاء، وهنا القلم يتعثر، واللسان يحتبس، والرأس يتكس حياءً، فمعذرة عن الشرح.

حاجة الإنسانية إلى الإيمان والروح والغايات الصالحة:

نجي فيكم - رجالاً اختارهم الله لحراسة مهد الإسلام، ذلك البلد الأمين الذي طلع منه الصبح الصادق للعالم فأشرق النهار، وعاشت الإنسانية، وطابت الحياة، ولا مطمع في سعادة الإنسانية ونهوضها إلا إذا أنجذت هذه الجزيرة الإنسانية مرة أخرى، فعادت عليها بما أفلست فيه هذه المدنية إفلاساً شائناً، إيمان متين، وعاطفة قوية، وروح ملتبهة سامية، واستهانة بزخارف الدنيا، وإيثار للأخرة، وعطف على الإنسانية كلها، وغايات صالحة تضح الوسائل مواضعها وتعود على الإنسانية بالبناء والسعادة، وشريعة إلهية قد تكملت، وقد تحقق أخيراً أن الحياة من غير إيمان والعقل من غير عاطفة، والجسم من غير روح، والتملك للدنيا من غير إيثار للأخرة، والقوة والوسائل من غير غايات رشيدة والحكومة من غير شريعة إلهية شؤم على الإنسانية ورؤية عالمية، وتلك قصة أوربا الحديثة - أيها الزائر الكريم! - ومن مشى على أثرها.

كيف يفيت العرب المدنية:

هذه الثروة التي أفلس فيها العالم الحديث وملكتكم مفاتيحها، هي ثروة الإسلام التي تعتزون بها، وتوسعون بها الأمم - إذا شئتم - براً ورفداً، وإن العصر الحديث هو أحوج إلى هذه الثروة المعنوية من كل ثروة جادت بها الأرض وسخت بها يد الطبيعة في بلادكم، فلتهنئكم هذه الحراسة الكريمة للجزيرة العربية، ولتهنئكم هذه الثروة العظيمة التي

تلكونها ولتهتككم هذه الفرص السانحة لإغاثة الإنسانية وإجنادها.

رجال الإصلاح في الهند وأعمالهم:

إننا من أسرة علمية ترى السعادة والعصمة كلها في فهم تلاميذ محمد صلى الله عليه وسلم للدين "أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، أبر الناس قلوباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلفاً" إننا نرى السعادة كلها في عقيدتهم وفكرتهم وحياتهم، إننا من أسرة قديمة تثور على كل دخيل على هذا الدين وعلى الطوائى التي طرأت على العقيدة الإسلامية النقية بتأثير العجم والفلسفات الدينية العتيقة، وتتمرد على الأوضاع والبدع التي تسربت إلى هذا الدين الخالص عن طريق العجم من عقائد وأفكار وعوائد، وكان منا أئمة مرشدون ودعاة مخلصون، نفوا عن هذا الدين في كل زمان "تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين" كان منهم الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي (م ١٠٢٤هـ) صاحب الرسائل الخالدة النافعة، وشيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (م ١١٧٦هـ) صاحب حجة الله البالغة، والسيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦هـ) والعلامة الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الشهيد (١٢٤٦هـ) صاحب "تقوية الإيمان" وقد قاموا في هذه البلاد بدور رائع في الإصلاح والتجديد الديني والبعث الإسلامي وإن كتاب "الصراط المستقيم" للسيد الإمام أحمد بن عرفان "وتقوية الإيمان" للشيخ إسماعيل ثورة قوية على الشرك والبدع، ودعوة جريئة إلى الإسلام الصحيح والدين الخالص.

ندوة العلماء وأهدافها:

على هذه العقيدة السليمة قامت "ندوة العلماء" في هذه البلاد

في فجر هذا القرن الهجري، تنكر على عامة المسلمين زيغ العقيدة وفساد الأخلاق وعلى العلماء كثرة الشقاق والجهاد في غير عدو، وتنعى على البدع التي دخلت في حياة المسلمين واستهلكت أموالهم واستنفدت قوتهم، وتدعو إلى إصلاح نظام التعليم الذي قد فقد جدته وحياته ونسى رسالته، وإلى تخريج العلماء الذين يبلغون رسالات الله في لغة هذا العصر وأسلوبه، حتى تتحقق الغاية المنشودة من التعلم والتفقه وهو الإنذار "لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ" [التوبة: ١٢٢].

دار العلوم وشعارها:

وأخيراً أدركت أن هذا الغرض لا يتم إلا إذا أسست مدرسة مثالية، فأسست "دار العلوم" في لكهنؤ عاصمة الولاية الشمالية سنة ١٣٢٦هـ ووضعت أساسها على مبدأ الجمع بين الدين الخالد الذي لا يتغير وبين العلم النامي الذي لا يتحجر، بين صلابة الحديد في الثبات على العقيدة، وبين نعومة الحرير في اقتباس العلوم النافعة، فبينما العالم الديني في عقيدته وعبادته جبل ثابت، إذا هو في علمه ودراسته وتقدمه فهر عذب جار، وبينما هو في نصوص الدين وعزائمه مرابط على الثغر وحارس للأمانة، إذا هو في تفهيمه ودعوته جندي مهاجم ومسلح على أحدث طراز، وبينما هو في الأول لا يعرف الهوادة إذا هو في الثاني لا يعرف الجمود.

محافظة على الغايات وتوسع في الآلات:

وقد امتازت هذه الدار العلمية من أول يومها بالمحافظة على

الغايات والتوسع في الآلات، فعنيت بدراسة القرآن متناً وتفسيراً، وإجمالاً وتفصيلاً، والحديث خلقاً وتربية، وفقهاً وتزكية، وحذفت الفلسفة اليونانية التي طغت أخيراً على المناهج الدراسية في الهند وإيران، واغتصبت مقداراً عظيماً من الذكاء والقوة والعناية من غير جدوى ومن غير موجب.

معقل العربية في الهند:

وعنيت بدراسة اللغة العربية كلغة حية ثرية من أغنى لغات العالم وأكثرها حيوية وقوة حتى فاقت في ذلك، معاهد الهند ومدارسها باقتدار من نبغ من أبنائها على هذه اللغة كتابة وخطابة وتأليفاً وتصنيفاً حتى شهد لهم أدباء العرب بالإجادة والإبداع وأحفوا المكتبة العربية الغنية بأثار تذكروا وتشكر.

هذه هي الدار الوحيدة التي تعيش فيها العربية إذا ماتت في كثير من البقاع وتنطق فيها إذا خرس في كثير من الأصقاع، وعنيت كذلك بدراسة بعض العلوم العصرية واللغات الأجنبية التي لا غنى عنها للعالم والداعية.

المتخرجون في دار العلوم والدور الذي مثلوه:

كان نتيجة هذه الجهود أن خرج من دار العلوم عدد من المتخرجين والنابعين إن لم يكثر عددهم - لكثرة العوائق وقلة المساعدة وفقدان التشجيع وضعف الوعي في هذه البلاد - فقد ضخم إنتاجهم وظهر فضلهم في حقل الدعوة والتأليف واحتلوا مكاناً رفيعاً في المجتمع الإسلامي الهندي، وكانوا برهاناً على حيوية

العلوم الإسلامية وخصب هذه الأمة وكانوا قنطرة أمينة بين الطائفة الدينية التي كادت تقصى من الحياة وبين الطائفة الدنيوية - كما يسميها الناس وتسمى نفسها - التي تجحد بالدين وتثور على الإسلام، ومن يجهل أن الإسلام لا يعرف هاتين الطائفتين المنفصلتين المتحاربتين، أنه لا يعرف ديناً لا يتصل بالحياة، ولا يعرف دنيا لا تخضع للدين ولو لم يكن لتخرجي الندوة غير هذه الحسنة، أنهم وقفوا وسطاً بين هذين الطرفين وكانوا سبب تقاربهم وتعارفهم لكفاهم فضلاً، أنهم أثبتوا أنهم لا يعيشون في عزلة عن العالم وفي جزيرة منقطعة في بحر الحياة، فكان منهم أدياء، وباحثون، ومؤلفون في لغة البلاد واجتماعيون يشاركون في الحياة، وكان منهم من كون للنشء الإسلامي الجديد المثقف مكتبة كاملة، نذكر منها كتاب "سيرة النبي صلى الله عليه وسلم" في سبع مجلدات عظام للباحث الإسلامي الكبير العلامة الدكتور السيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى، فلم يؤلف في لغة من لغات العالم الإسلامي، كتاب مثله في الاتساع والتحقيق، وله ولزملائه وتلاميذه غير ذلك من الآثار العلمية والحسنات الدينية.

مآثر الدولة العربية السعودية:

إننا نعرف ونذكر بغبطة دائماً ما امتازت به الدولة السعودية - أيدها الله وأدام توفيقها - من بسط الأمن وتوطيد النظام في بلاد حرمة من قرون فكان وصمة عار على الإسلام والعرب، كما أصبحت اليوم مضرب المثل في أمن الأرواح والأموال، وفاقت في ذلك البلاد الراقية الكثيرة وبما امتازت به من نشر المعارف في أمة

ابتليت في الزمن الأخير بالأمية الفاشية والجهل المطبق، والإنفاق على مشاريع التعليم بسخاء وتشجيع حفظ القرآن الكريم في عصر انصرفت عنه النفوس وزهد في ذلك من هو أحق به، وبما امتازت به من محاربة الفساد والخلاعة في بيئة قد لهجت بها وأغربت، والظهور بالمظهر الديني في عصر استتكفت عنه حكومات المسلمين، وبما وفقت له من توسيع المسجد النبوي الشريف وبما تنوى من توسيع المسجد الحرام، وأخيراً لا آخراً ما اعتذر القائم على رأس هذه الحكومة وعاهل الجزيرة العربية وكبير المسلمين عن المشاركة في تقاليد تنافي الإسلام وعقيدة التوحيد، ولا تتفق مع روح الإسلام وأساسه، وذلك ما تفرد به الملك المسلم بين الملوك المسلمين والحكومة السعودية بين "الحكومات الإسلامية" إن كل ذلك حديث سرت به الركبان وتحدث به الزمان وسجله قلم التاريخ، ولهج به لسان الشكر، ولا نملك إلا أن ندعو - مخلصين مبتهلين - أن يديم الله هذا التوفيق، ويزيد في هذه المآثر التي تبيض وجه الإسلام والمسلمين.

وفاء المسلمين في الهند لدينهم:

إننا نحن المسلمين في الهند لا نزال على العهد الذي قطعناه على أنفسنا يوم حملنا عن أسلافكم أمانة الإسلام، وأمانة الدعوة، وأمانة العلم، وإننا لا نزال في عصر المادية والمعدة في عصر الأنانية والشهوات، في عصر الوسائل والآلات لا نزال مؤمنين بالقيم والأقدار التي جاءت بها الرسالات السماوية وخلدتها النبوة المحمدية، إننا لا نزال مؤمنين بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو إمام كل عصر وقائد كل جيل، وأن دينه هو منبع كل سعادة، ومصدر كل خير،

ومطلع كل نور، وإن العالم الحديث في تقدمه الهائل في عالم الصناعة والاختراع مفتقر إلى إرشاده واستمداد القوة الروحية واليقين، والغايات الصالحة ودوافع الخير من هذا الدين الخالد، كما كان العصر الجاهلي في تأخره والمخطاطه، هذا ما ندين به ونشهدكم عليه.

فضلهم على هذه البلاد وخدمتهم للوطن الإسلامي الكبير:

إن تاريخ المسلمين - أيها الزائر الكريم - في هذه البلاد مثال جميل للجمع بين العاطفة الوطنية وبين العقيدة الدينية والصلة الروحية، وبرهان ساطع على أن المسلم يستطيع أن يكون مواطناً كريماً ومؤمناً مخلصاً، فكما ساهمنا في بناء هذه البلاد وتكوينها وإنشائها وغمرناها ببدايع من الذكاء النادر والذوق الرقيق، والفن الرفيع، رأيت آثارها الجمالية في جوتكم الكريمة، كذلك ساهمنا في حركة التأليف والنشر والإنتاج العلمي والديني في العالم الإسلامي مساهمة ذات قيمة عظيمة، ووجد في الأمة الإسلامية الهندية عماليق في الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية يوم أصيبت هذه الأمة بعد غارة التار بالجدب وضعف التفكير وقلة الإنتاج وامتاز الشعب الإسلامي الهندي بصفة خاصة بخدمة الحديث الشريف ونشره حتى صارت هذه البلاد مرجعاً في هذا الفن ومقدمة على سائر البلاد وقال العلامة السيد رشيد رضا في مقدمته لـ "مفتاح كنوز السنة": "ولو لا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضى عليها الزوال من أمصار الشرق فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر".

ومن البراهين الساطعة على غيرة مسلم الهند على هذا الدين ونشاطهم وحيويتهم وجود هذه المدارس العربية الإسلامية العظيمة في الهند التي نشرف بالانتماء إليها ونتشرف بتمثيلها. وختاماً ندعو المولى الكريم ، أن يكتب لكم جولات متكررة إلى هذه البلاد ففيها من تشجيع العلم وتكريم المسلمين ما لا يخفى على ذي عين وبيقكم ذخراً للعالم والدين وشرفاً للإسلام والمسلمين". (١)

كبرى الحركات الدهوية والتعليمية في شبه القارة الهندية :

بجنب أتباع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد الذين قاموا بتصحيح العقيدة وإصلاح الطقوس ، ظهر آخرون منهم في المجال التعليمي الديني ، وجعلوا مركز هذا العمل في مواضع مختلفة ، كانت من أهمها بلدة "ديوبند" وكان في مقدمة المنشئين له الشيخ محمد قاسم النانوتوي ورفاقه ، وقد أدى هذا المركز خدمة جليلة في نصرة الحق وتصحيح العقيدة وإصلاح النفوس ، وكان بينه وبين ندوة العلماء توافق وزمالة ، كما نشأت من تأثير ذلك حركة الدعوة والإرشاد ، التي كان منشئها فضيلة الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي ، وأثرت هذه الحركة على المسلمين ، وصلحت سيرة آلاف من النفوس بتأثير هذه الحركة ، وعمت جهودها في مختلف بلاد العالم ، وكل هذه الحركات الثلاثة : ندوة العلماء ودار العلوم ديوبند وجماعة الدعوة والإرشاد تنتمي في سائر جهودها إلى الإمام ولي الله

١- مجلة البعث الإسلامي" الصادرة من مؤسسة الصحافة والنشر بندوة العلماء ، لكتاوا ، الهند يناير ١٩٥٦م

الدهلوي في أساسها الفكري.

التزام المملكة العربية السعودية بالطريقة الدينية القويمة؛

وكان عاهل المملكة السعودية الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود قد قدّم مقالاً في زيارته للهند، كان يدل على التزامه بالطريقة الدينية القويمة حيث أكد على مسئولية الحكومة الهندية أن المائدة التي تكون عليها الضيافة، يجب أن تكون خاصة بالرجال دون النساء، كما أظهرت الحكومة أنها لا تريد عملاً لا يستسيغه الملك، فقامت بتغطية أماكن العبادة الشركية، وقامت بإكرام لائق للملك.

على كل، فإن حركة التوحيد التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي تشابهت بنشاطات الأعمال الصالحة من نصره عقيدة التوحيد وإصلاح النفوس واتباع السنة السنية، التي جرت في الهند مع بعض المفارقات فيما بينهما.

أما الضعف الذي ظهر أخيراً في جهود نصره الحق في المجالات السياسية والحكومية للبلدان الإسلامية، فمن أهم أسبابه تلك المؤامرات التي تعمل خفية للقضاء على الصفات الإسلامية في بلاد المسلمين بطرق ماكرة، وإخضاع الأحوال الإسلامية لمآرب الغرب التي تنجح حيناً وتفقد حيناً لآخر، يظهر بذلك الإسلام غريباً في عدة بلدان المسلمين، وأصبحت الدعاية أعظم ذريعة لتغطية الشر ونشر السيئة التي تظهر في أي مكان في العالم، فلا بد من الحفظ والاحتياط مما يأتي إلينا من الأخبار ومن التوعية.